جواهر الأدب

في

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف
المرحوم السيد أحمد الهاشمي
مدير مدارس فؤاد الأول
ومراقب مدارس فيكتوريا سابقا

الجزء الأول

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص ب ٥٧٨

مسجل بالمحاكم المختلطة وبرخصة وزارة الداخلية الجليلة
والاعادة وحقوق الطبع محفوظة لحضرة مؤلفه وولده
الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م

قرظت على طبعه مشيخة الازهر الشريف
وقرظه أيضا كثير من فضلاء وزارة التربية والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلى ما سجعتْ به بلابلُ الأَقلام ، وأغلى ما انتظمت فيه عقودُ البلاغة والانْسِجام ، وأشهى ما ينعت به (جَوَاهر الأَدب) حمدُ مولانا الذى شَرَّف لغة العرب ، وأَرسل لنا نبيًّا عربِيًّا منزهًا عن جميع الرِّيب ، سيدنا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله ومَنْ صَحَب .

(أَمَّا بعْدُ) فهذا كتاب سميتُهُ «جَوَاهر الأَدب ، فى أَدبيَّات وإِنشاءِ لغة العرب» أَودعته ما وقع عليه اختيارى ، لا من نثرى وأَشعارى ، فليس لى فى تـأْليفه من الافتخار ، أَكثرُ من الاختيار ، واختيار المرءِ قطْعَةٌ من عقله ، تدلُّ على تخلُّقِه وفضله . وفضيلة هذا التأليف هى جمع ما افترق ، مما تَنَاسَبَ وَٱتَّسَقَ ، واختيار عيون ، وترتيب فنون ، من أَحاديث نبوية ، ومكاتبات أَدبيَّة ، وحِكم باهِرَة ، وأَبياتٍ نادرة ، وأَمثال شاردة ، وأَخبار واردة ، ووصايا نافعة ، ومَوَاعِظ جامعة ، ومُنَاظَرات مستظرفة ، ومقامات مستطرفة ، وأَوصاف عَلِيّة ، وخُطب اجتماعية ، لينتفع به مُقتنيه ، ويستغنى عن غيره الرَّاغبُ فيه ، إِذ كان أَحسَنَ من الزهر والرياض ، والحدائق والغياض ، والزبرجد والمرجان ، والدُّرّ والعقيان ، والأَكاليل والتيجان ، والنزه والبستان ، إِن دُعِىَ أَسرع ، وإِن تحدث أَمتع ، وإِن سُئلَ أَجاب ، وإِن حكم أَصاب ، جليس لصاحبه فى الحضر وأَنيس له فى السفر ، نديم ظريف ، وسمير حصيف ، بالغتُ فى تهذيبه ، وبذلت مجهودًا فى حسن ترتيبه ، وأَجزلتُ التُّحفة ، وانتقيت الطرفة ؛ وبالله نستعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف

السيد أحمد الهاشمى

تقريظ

وتقدير العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب

١ ـ كتب إلىَّ صاحب الفضيلة أُستاذى الأكبر شيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى عَلّم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على أفصح العرب ، وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا منهج الأدب. أما بعد ، فقد اطلعت على الكتاب المسمَّى «بجواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب» لمؤلفه الألمعى ولدنا الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى ، فألْفَيْتُه مشتملاً على فن الإنشاء والأمثال وافياً بالمقصود ، واسع المجال ، صحيح العبارة ، واضح الإشارة ، نافعاً فى بابه ، مفيداً لمطالعيه وطلابه ؛ نفع الله به وبمؤلفه ومحبيه بجاه نبيه وآله وصحبه وتابعيه .

٢ ـ وكتب إلىَّ أُستاذى الإمام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه فوالاه . وبعد ، فقد اطلعت على مجموع كتاب «جواهر الأدب» المنتخب من حدائق العرب ، فإذا هو مجموعة لا بأس بها ، وافياً بما تريده الطلبة من الكتابة ووسائلها :

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت ... فأضحت وعُجْمُ الطير فيها تُغَرِّدُ

فقد جمع لهم من عيون الكلام وروائع اللفظ مايحتذون حذوه ، وينسجون على منواله ، حتى لا تستعصى عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها ، وبُعَيْدَ أن يصل من يحاول صناعة الإنشاء إلى ما يرضى منه بدون أن يرد الطرف فى كثير من كلام الفصحاء ، ويرد من مناهله كل عذب صاف ، ويحيط بشىء عظيم من

أساليب الكتاب حتى يتشبَّع من كلامهم ، وتنطبع فيه صورة من مجموع صورهم ولم يكن فيما بين أيديهم من الكتب ما يفى لهم بهذا الغرض ، حتى وُفِّقَ حضرة ولدنا الأُستاذ الهاشمى لسدِّ هذه الثلمة بما كابده من التعليم زمناً كبيراً . ولابدع فخير الأَطباء من عرف حقيقة الداء ، فيصف له أَنجع الدواء ، ولقد عرف هذا الأُستاذ العصامى حاجة العصر وناشئته إلى كتاب موضوع على أُسلوب عصرى يلائم أَذواق بنى العصر من معلمين ومتعلمين ، فإذا حاول أَهل العلم والتعليم أَن يشكروا له صنيعه فقد حاولوا عظيما وطلبوا خطيراً ، وحسب العامل أَن يقوم بشكره عملُه ، فالعمل أَعرف شىءٍ بجميل عامله ، وفقنا الله وإياه لما يُحِبُّه ويرضاه ، وأَسأَله أَن ينفع به الطلاب ، ويجزل فيه الثواب .

٣ ـ وكتب شيخ الإسلام صاحب الفضيلة أُستاذى الأَكبر المرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأَزهر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى أَنشأَ العالم على أَبدع مثال ، ونظم أَحواله بمعارف أَرباب العلوم حتى بلغ حد الكمال ، ونشر عجائب المعارف فى أَرجائه ، وغرائب العوارف فى أَنحائه ، والصلاة والسلام على ينبوع العلم وجواهر الأَدب سيدنا ونبينا محمد أَشرف مخلوق فى العجم والعرب ، وعلى آله وصحبه ذوى المناصب والرتب . أَما بعد ، فقد تناولت كتاب « جواهر الأَدب فى إنشاءِ لغة العرب » كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضتُهُ كما يفض الرحيق المختوم ، واطلعت عليه فوجدته حوى من المبانى أَدقها ، ومن المعانى أَرقها ، ومن النثر أَعلاه ، ومن النظم أَحلاه ؛ ارتحت لعيانه ، واهتززت لعنوانه ، إذ قد جمع فيه الأَجناس ومما لايستحيل الانعكاس ما أَدهش قاطبة الناس ؛ فلو شامه « البهائى » قبل تأْليف « مخلاته وكشكوله » لاعترف لهذا المولف وارعوى من فضوله ، وهو حضرة العالم الهمام اللوذعى ، الإمام ولدنا السيد أَحمد الهاشمى ، أَكثر الله من أَمثاله ، بجاه النبى وآله .

٤ ـ وكتب إلىَّ فضيلة أُستاذى المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأَول بوزارة المعارف العمومية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أَى بنىَّ الجهبذ النحرير والفذ العبقرى « السيد أَحمد الهاشمى » قد تصفَّحْت مجموعتك المختارة التى سميتها « جواهر الأَدب فى أَدبيات وإنشاء لغة العرب » فإذا هى دائرة معارف كبرى لا يستغنى عنها أَديب ، كلها صحاح وعلم صراح :

وما عسى أَن يقال فى وصف صحاح الجوهرى

إى وربِّى إنه لكتاب صَرَّح على المخض زبده ، وأَسفر عن الأَدب ، فلم تتلفع بفضل مئزرها دعد ، وانفردت سطوره عن فضل اختيار ، وتعَرَّى ليل عن بياض نهار ، جلاه الفرناس ، على صفحات القرطاس .

اختار فى كتابه هذا من منتخبات الكتَّاب والشعراء ما يشفى الغلة ، ويروى الصدى ، ولقد أَتى فيما انتقاه لكتابه الثمين بيوت الكلام من أَبوابها ، وميّز أَبكارها من أَترابها ، وأَهدى إلى هولاءِ الشادين كلاماً يلطف كالهواءِ رقة ، ويسيل كالماءِ عذوبة ، يمتزج بالنفوس لنفاسته ، ويشرب بالقلوب لسلاسته :

أَحاديث لو صِيغت لأَلهت بحسنها عن الوشي أَو شُمَّت لأَغنت عن المسك

وبعد ، فإن سنن مؤلفك العظيم القويم ، ما منى بشين ، فخشيت عليه العين ، وما أَطيب الخزامى فى قول بعض القدامى :

ما كان أَحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين

كيف لا ، وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفلّ الحزَّ ، ويطبق المفصل ، له حلى من البلاغة يتقلدها فيكاد السحر يحسدها ، يدل عليه بيانه كما يدل على الجواد عنانه ، فمن عرفه فقد اكتفى ، ومن قصر فلينشد :

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

فما أَجدر كتابه أَن يختص بسرعة المجال فى المجالس ، وخفة المدار فى المدارس

بل إن (هذا الكتاب يهدى التى هى أقوم) جزى الله مولفه خير الجزاء وأثابه أحسن المثوبة ، وأكثر فى الأمة من أمثاله ، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال .

٥ ـ وكتب إلىَّ صديقى المرحوم حسن أفندى توفيق العدل المدرس بكلية كمبردج ـ بانجلترا :

عزيزى حضرة الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى

تشرفت بكتابك المسمى « جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب » فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبعك السليم ، واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم ؛ فما أنفس فرائده ، وأثمن فوائده ، وأفصح مقاله ، وأفسح مجاله . صدر هذا الكتاب عن علم سابق ، وفكر ثاقب ، وذهن رائق ، ونفس صادق ، وَرَوية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ؛ فأكرم به من كتاب « جواهر » تكونت من ألفاظ عذاب ، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب . إذا تدبَّرَه الأديب أغنته تلك الأفانين عن نغمات القوانين ، وإذا تأمله الأريب نزه طرفه رياض البساتين ، قد سوّر على كل فنٍّ من البديع باب ، لا يدخله إلا من خص من البلاغة باللباب ، والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب .

حسن توفيق العدل

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زغلول مخاطباً لى :

كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة » ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وإنه لدائرة معارف أدبية كبرى ، وأنفس كتاب ألف فى اللغة العربية وتاريخ آدابها ، صدر عن تجربة وحكمة « ومن يُؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » .

سعد زغلول

اليكم معشر الكتاب

أما بعد ـ حفظكم الله ياأهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين ، أصنافاً وإن كانوا فى الحقيقة سواء ، وصَرَّفهم فى صنوف الصناعات وضُرُوب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم . فجعلكم معشر الكُتَّاب فى أشرف الجهات أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية بكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أُمُورُها ، وبنصائحكم يُصْلح الله للخلق سُلطانهم ويَعْمُرُ بُلدانهم . لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يُوجد كافٍ إلا منكم . فموقعكم من الملوك موقعُ أسماعهم التى بها يَسْمَعُون ، وأبصارهم التى بها يُبْصِرون ، وألسنتهم التى بها يَنْطِقُون ، وأيديهم التى بها يَبْطشون(١) ، فأَمتعكم(٢) الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أَضْفَاهُ(٣) من النعمة عليكم ، وليس أحدٌ من أهل الصناعات كلها أَحْوَج إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخِصال الفضل المذكورة المعدودة منكم .

أيها الكُتَّاب : إذا كُنْتم على ما يأتى فى هذا الكتاب مِنْ صِفَتِكم ، فإن الكاتبَ يحتاجُ من نفسه ويحتاج مِنْهُ صاحبُه الذى يثقُ به فى مُهمَّاتِ أُمُورِه أن يكون حليما فى موضع الحلم فَهيماً فى موضع الحُكْم ، مِقْدَاماً فى موضع الإقدام محجاماً فى موضع الإحجام(٤) ، مُؤثراً(٥) للعفاف والعدل والإنصاف ، كَتُوماً للأسرار ، وفيًّا عند الشدائد ، عالماً بما يأْتى من النَّوَازل ، يضع الأُمور مواضعها

---

(١) يدافعون (٢) أبقاكم (٣) أفاضه

(٤) التأخر (٥) مختارا له

والطَّوَارِق أماكنها . قد نظر فى كل فن من فنون العلم فأحكمه فإن لم يُحْكِمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به ، يَعْرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يَرِدُ عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فيعدُّ لكل أمر عُدَّته(١) وعتاده(٢) ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته .

فتنافسوا يا معشر الكتاب صنوف الآداب ، وتفقَّهُوا فى الدين وابدءُوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية ، فإنها ثِقَاف(٣) ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط. فإنه حلية كُتبكم ، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم ما تسمو إليه هممكم ، ولا تُضَيِّعوا النظر فى الحساب فإنه قَوَامُ (٤) كُتَّاب الخراج ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنيِّهَا(٥) ودنيِّها ، وسفسافها(٦) الأُمور ومحاقرها فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتَّاب ، ونزِّهوا صناعتكم عن الدناءة وارْبأُوا(٧) بأنفسكم عن السِّعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات . وإياكم والكِبْرَ والصلَفَ والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير إحْنَة(٨) وتحابُّوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليه بالذى هو أليق بأهل الفضل والعدل والنُّبْل(٩) من سلفكم ، وإن نَبَا (١٠) الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وَوَاسُوه حتى يرجع إليه حاله ، ويَثُوبَ(١١) إليه أمره ، وإن أَقْعَدَ أحدًا منكم الكِبَر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظِّمُوهُ وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحفظ. منه على ولده وأخيه ، فإن عَرَضَت فى الشغل محمدة فلا يصرفها إلا إلى صاحبه ، وإن عرضت مذمة فيحملها هو من دونه ، وليحذر

---

(١) ما أعددته لحوادث الدهر (٢) العدة (٣) تعديلها (٤) نظام
(٥) رفعها (٦) الردىء من كل شىء (٧) أعرضوا وفروا
(٨) اضمار حقد (٩) الرفعة والسمو (١٠) قصر ونفر (١١) يرجع

السقطة والزلة والملل عند تغير الحال ، فإن العيب إليكم معشر الكُتَّاب أسرعُ منه إلى الفِرَاءِ (١) وهو لكم أفسد منه لها ، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبهُ الرجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره ، واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سِرِّه وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ، ويُصْدِقُ ذلك فعله له عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه ، فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالتى الشدة والرخاء والحرمان والمواساة والإحسان والسَّرَّاءِ(٢) والضراءِ ، فنعمت الشيمة هذه لمن وُسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة المنيفة .

وإذا وَلِيَ الرجل منكم أو صُيِّرَ إليه من أمر خلق الله أمرٌ فليرقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم مُنْصِفاً ، فإن الخلق عِيَالُ الله وأحبَّهُم إليه أرفَقُهُم بعياله ، ثم ليكن بالعدل حاكمًا ، وللاشراف مُكْرماً ، وللفَيْءِ(٢) مُوَفِّراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعيَّة متألفاً ، وعن أذاهم مُتخلِّفاً ، وليكن فى مجلسه متواضعاً حليماً ، وفى سجلات خراجه واستقصاءِ حقوقه دقيقاً ، وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه ، فإذا عرف حَسَنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن ، واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرًا بسياستها التمسَ معرفة أخلاقها ، فإن كانت رَمُوحاً لم يُهِجْها إذا ركبها ، وإن كانت شَبُوباً اتَّقَاها من بين يديها ، وإن خاف منها شُرُوداً تَوَقَّاها من ناحية رأسها ، وإن كانت حَرُوناً قمع هواها برفق فى طريقها (٣) فإن استمرَّت عطفها يسيراً فَيُسَلس(٤) له قيادها ، وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم .

---

(١) الجلد ، لأنه سريع العطب (٢) الغنيمة والخراج

(٣) فى مرة من المرات (٤) وفى نسخة يسلس أى ينقاد ويسهل

والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاول من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه ، ومداراته وتقويم أَوْدِهِ من سائس البهيمة التى لا تفقه جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً إلا بقدر ما يُصَيرها إليه صاحبها الراكب عليها ؛ ألا فَامْعِنُوا رحمكم الله فى النظر ، واعملوا فيه ما أمكنكم من الرَّوِيَّة والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتُمُوهُ النَّبْوَةَ(١) والاستثقال والجفوة ويصير منكم إلى الموافقة وتَصِيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله .

ولا يُجَاوِزَنَّ الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه ، فإنكم مع ما فضلكم به الله من شرف صنعتكم خَدَمَةٌ لا تُحْمَلُونَ فى خدمتكم على التقصير ، وحَفَظة لا تحتمل منكم أفعال التَّضْييع والتبذير . واستعينوا على أفعالكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصتُهُ عليكم ، واحذروا متالف السَّرَفِ وسوءَ عاقبة الترف(٢) فإنهما يُعْقِبان الفقر ويذلّان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سِيَّمَا الكُتَّاب وأرباب الآداب وللأُمور أشباهٌ وبعضها دليلٌ على بعض فاستدلوا على مُؤتَنَفِ(٣) أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها مَحَجَّة وأصدقها حُجّة وأحمدها عاقبة ، واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورُؤيَتِهِ ، فليقصد الرجل فى مجلسه قصد الكافى من منطقه ، وليوجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حُججه ، فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل من إكثاره .

وليضرع إلى الله فى صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه ، فإنه إن ظن منكم ظانٌّ أو قال قائل إن الذى بَرَزَ من جميل

(١) القبح (٢) التنعم (٣) مبدأ

صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره ، فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز وجل إلى نفسه فيصيرُ منها إلى غير كاف ، وذلك على من تأَمَّلَهُ غيرُ خافٍ .

ولا يقُلْ أحدٌ منكم إنه أبصر بالأُمور ، وأحمل لعبء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته ، فإن أعقل الرجلين عند ذوى الألباب من رَمَى بالعجب وراءَ ظهره ، ورأى أن صاحبه أعقلُ منه وأجمل فى طريقته .

وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله عليه جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره . وحمدُ الله واجب على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ، والتحدث بنعمته .

وأنا أقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل « مَنْ تَلْزَمهُ النَّصِيحة يلزمه العَمَل » وهو « جواهر » هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله جلَّ جلاله ، فلذلك جعلته آخره وتممته به ، تَوَلَّانا الله وإياكم يامعشر الكتَبَة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ[1])

(١) هو عبد الحميد بن يحيى العامرى ، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ــ قتله السفاح ١٣٢ هـ .

تمهيد فى مبادىء علم الأدب

الأَدب عبارة عن معرفة ما يُحْتَرَز به من جميع أَنواع الخطأ وهو قسمان : طبعى كسبىٌّ ؛ فالطبعى ما فُطِرَ عليه الإِنسانُ من الأَخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم . والكَسبىُّ ما اكتسبه بالدرس والحفظ والنظر ، وهو المقصود لنا فى هذا الكتاب ، وحينئذ يعرَّفُ بأَنه علم صناعى تُعْرف به أَساليب الكلام البليغ فى كل حال من أَحواله ، وهو المدعو «علم الأَدب» ،

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته .

وغايته الإِجادة فى فنَّىْ المنظوم والمنثور على أَساليب العرب ، وتهذيب العقل وتذكية الْجَنان .

وفائدته : أَنه يعصم صاحبه من زلّة الجهل ، وأَنه يُرَوِّض الأَخلاق ويلين الطبائع ، وأَنه يعين على المروءة ، وينهض بالهمم إلى طلب المعالى والأُمور الشريفة .

وأَركانه أَربعة ، الأَول : قوَى العقل الغريزية ، وهى خمسة : الذكاءُ (١) والخيال (٢) . والحافظة (٣) ، والحس (٤) ، والذَّوْق (٥) .

الثانى : معرفة الأُصول وهى مجموع قوانين الكتابة ، وفيها طرق حسن التأليف وضروب الإِنشاء وفنون الخطابة .

---

(١) الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر وفى كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (٢) باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح فى فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعانى فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الانسان من صور المدركات كاللذة والالم وهو من شروط الكتابة اذ يعين الكاتب مما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسما محكما فيقتدر اذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب ، الا ترى أن الكلام العذب اذا حل فى القلب أحدث فيه حركة وهزة ؟

(٥) قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمثابرة على الدرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقلب عما يفسد الأخلاق والآداب .

وتنقسم هذه الأُصول إلى قسمين : عامَّة ، وخاصَّة . فالعامة : كالتآليف الأَدبية من منظوم ومنثور فى أَغراض شتى . والخاصة : كالتآليف المفردة بالرسائل أَو بالأَمثال .

الثالث ـ مطالعة تصانيف البُلغاء بالتأَنى والتَّبَصر فيها ، ليدَّخِر الكاتبُ كل لفظ مؤنق شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف بهما عند الضرورة .

وشروطها ثلاثة ، الأَول : أَن يستقلَّ المطالع بعض علماء اللغة وأَئمة الأَدب فيقتصر على درسهم حتى ينسجَ على منوالهم . الثانى : أَن يُطيل النظر فى هذه المطالعة ويُرَدِّدُ مراراً ما استحسنه من تصانيفهم كى يروض الذهن فى حلبة(١) سباقهم فيقف على غريب أَسلوبهم وعجيب تراكيبهم . الثالث : أَن ينتقى منها شيئاً مما استجاده(٢) من اللفظ الحر والتراكب الصحيحة والمعانى البليغة ذُخْراً لذاكرته وَمِهْمازاً(٣) لقريحته .

الرابع ـ الارْتِيَاضُ ، وهو التدرب بوجوه الإنشاء بأَن تتوسع فى شرح بعض المعانى فتبينه بأَوجه شتى وتُنَمِّقُهُ بأَشكال البديع ، وبأَن تجتهد فى وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أَو مدحاً أَو تهنئة ، وأُخرى تسرد مثلا أَو تسبك رواية إلى غير ذلك . وأَن تحْذُوَ حذو المتقدمين فى أَوضاعهم باستعمال أَلفاظهم ومعانيهم ، وبأَن تحلَّ النظم فتأْتى به نثراً أَنيقاً(٤) وتعقد النثر فتصوغه صوغاً رشيقاً(٥) .

مقدمة فى علم الانشاء

الإنشاءُ لغة : الشَّرْعُ والإيجادُ والوضع ، تقول : أَنشأَ الغلام يمشى إذا شَرَعَ فى المشى ، وأَنشأَ الله العالم : أَوجدهم ، وأَنشأَ فلان الحديث : وَضَعَه .

---

(١) الميدان (٢) وجده جيدا (٣) حديدة تكون فى مؤخر خف الرائد للمهر (٤) معجبا (٥) حسنا

واصطلاحاً علم يُعْرف به كيفية استنباط المعانى وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ لائق بالمقام . وهو مُسْتمد من جميع العلوم وذلك لأن الكاتب لا يستثنى صِنْفاً من الكتابة فيخوضُ فى كل المباحث ويتعمَّد الإنشاء فى كل المعارف البشرية .

وينحصر المقصود منه فى ثلاثة أبواب وخاتمة وَمُلحق .

الباب الأول : فى أصول الأنشاء

وهى أربعة : موادُّهُ وخواصُّه وطبقاتُهُ ومحاسِنُهُ .

أما مواده فثلاث : الأُولى الألفاظ الفصيحة (١) الصريحة (٢) الثانية المعانى (٣) الثالثة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ومرجعها إلى الفصاحة وعلمى المعانى والبيان.

---

(١) الالفاظ البينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها .

(٢) الألفاظ التى تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل الى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والابدال .

(٣) بحيث يكون المعنى واضحا ، أى سهل المأخذ خاليا من اللبس والاشكال كقول الأخطل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

وأن يكون المعنى سديدا أى أن يكون القول مطابقا للواقع كقول لبيد :

الا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وأن يكون مطابقا لمقتضى الحال كقول أبى العتاهية :

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

ولهذا قال أبو الفتح البستى :

تكلم وسدد ما استطعت فانما كلامك حى والسكوت جماد

فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

والمراد بمقتضى الحال الأمر الذى يقتضيه الداعى الى المتكلم على وجه مخصوص الناشىء عن مراعاة أحوال المتكلم والمخاطب ومقام الكلام ، والمعنى أما أن يكون مبتكرا أى مخترعا كقول ابن النبيه :

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وكقول آخر فى وصف الشتاء :

والنار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل =

. . . . . .

= أو دقيقا فهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائلهكقول ابن عنين فى فخر الدين الرازى وكانت قد دخلت الى مجلسه حمامة خلفهـا صقر يريد صيدها فاستجارب بحجرته :

جاءت سليمان الزمان حمامـة والموت يلمح فى جنـاحى خاطف
من انبأ الورقاء أن محلـكم حـرم ، وأنك ملجـأ للخائف

أو فطريا وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا أعمال روية ودل على بعض السذاجة فى قائله ، كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحرا؟فأنشد :

لا أركب البحـر أخشى عـلى منـه المعـاطب
طين أنا ، وهـو مـاء ، والطـين فى المـاء ذائب

وكقول الصياد :

سبحان ربى يعطى ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكه

أو لينا وهو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ دالا على أشياءتطرب المسامع وتبهج القلب كقوله :

أن السماء اذا لم تبك مقلتهـا لم تضحكالأرض عنشىء منالزهر

أو نافذا وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القلب كقول عنترة :

وما دانيت شخص الموت الا كما يدنو الشجاع من الجبان

أو جامعا وهو ما أفاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول أبى تمام فى المعتصم :

تراه اذا ما جئتـه متهـللا كأنك تعطيـه الذى أنت سائله
تعود بسط الكف حتى لو أنـه أراد انقباضا لم تطعه أنامـله

وكقول المتنبى :

وقد شرف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انسانا

أو متينا وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبى العتاهيـة :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب

والموغل أو الايغال هو ما فتن بسموه القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة كما قال قائل على لسان ربه : =

وأما خواصّه فهى محاسنهُ السبعة ، وهى ؛ أولاً : الوُضُوح(١) بأن يختارَ المفرَدَات البيِّنة الدالة على المقصود وأن يَعدل عن كثرة العَوَامل(٢) فى الجملة الواحدة ، وأن يتحاشى الالتباس فى استعمال الضمائر ، وأن يَسْبك الجمل سبكا جلياً بدون تعقيد والتباس ، وأن يتحاشى كثرة الْجُمل الاعتراضية .

وثانيًا : الصَّرَاحة بأن يكون الإنشاءُ سالماً من ضعف التأْليف وغرابة التَّعبير بحيث يكون الكلام حُرًّا مهذَّباً تناسب أَلفاظُه المعانى المقصودة كما قيل :

تَزِينُ مَعَانيه أَلفَاظُهُ وأَلفاظُهُ زائِناتُ المعانى

ويكون الكلام صريحًا بانتقاءِ الأَلفاظ الفصيحة والمُفردات الْحُرَّة الكريمة وكذا بإصابة المعانى وتَنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه وتأْليفه ، وكذا بمرَاعاة الفصل والوصل وهو العلم بمَواضع العطف والاستئناف والاهتداءِ إلى كَيفية إيقاف حروف العطف فى مواقعها .

وثالثاً : الضبط. وهو حذف فُضُول الكلام وإسقاط مشتركات الأَلفاظ كقول قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م :

= سألت عبدى وانت فى كنفى وكل ما قلت قد سمعناه
سلنى بلا خشية ولا رهب ولا تخف ، انى أنا الله

واعلم أنه ليس لهذه المعانى مصدر خاص ، وانما يحصل عليها الاديب من مطالعة كتب البلغاء واعمال الفكرة الطويلة والتبصر فى الموضوع الذى يقصد وصفه ليست منه المعانى اللائقة به ، وانما يلتجىء الأديب الى هذه المعانى عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ، ومقام المخاطب ومواقع الكلام .

(١) كقوله :

ليس الجمال بأثواب تزيننا ان الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب

(٢) كقول بعضهم :

* اقسم لا أعود أقوم أخطب فيكم *

أَرَى الْمَوْت لا يَرْعَى على ذى قرابةٍ وإن كان فى الدنيا عزيزًا بمقعَدِ
لَعَمرك ما الأَيام إلَّا مُعارَة فما اسطعْتَ من معرُوفها فتزوَّد

ورابعاً : الطبَعيَّة بأَن يَخْلو الكلام من التكلُّف والتَّصنُّع كما قال فى رثاءِ ابنِهِ أَبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ :

بكيتك يا بُنَىَّ بدمع عَيْنى فلم يُغْنَ البكاءُ عليك شيّا
وكانت فى حياتك لى عظات وأَنت اليوم أَوعظ منك حيًّا

وذلك لأَن من تطبَّع بغير طبعه نَزَعَتْهُ العادة حتى تردّه إلى طبعه كما أَن الماءَ إذا أَسخنته وتركته عاد إلى طبعه من البرودة وحينئذ فالطبع أَملك .

وخامساً : السهولة بأَن يَخْلُصَ الكلام من التعسف فى السبك وأَن يختار ما لان منها كما قال فى الأَشواق بَهَاءُ الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ :

شَوْقى إليك شديدٌ كما علمتَ وأزيدْ
فكيف تنكرُ حبًّا بهِ ضميرُك يشهدْ

وأَن تُهذّب الْجُمل وأَن يأْتَلف اللفظ مع مُرَاعاة النظير كما قال الشاعر فى الوَدَاعِ :

فى كنف الله ظَاعِنٌ ظَعَنَا أَودَع قلبى ودَاعه حَزَنَا
لا أبصرتْ مُقلتى محاسنه إن كنتُ أَبصرْتُ بعده حَسَنَا

قال بعض البُلَغَاء : أُحذركم من التقعير والتَّعَمُّق فى القول وعليكم بمحاسن الأَلفاظ والمعانى المُستخفّة المُستملحة فإن المعنى المليح إذا كُسِىَ لفظًا حسناً وأَعاره البليغ مخرجًا سهلا كان فى قلب السامع أَحلى ولصدره أَملأُ ـ قال البستى :

إذا انقادَ الكلام فقدْهُ عفوًا إلى ما تشتهيه من المعانى
ولا تُكْرِهْ بَيَانَك إن تأَبَّى فلا إكراه فى دين البيان

وسادساً : الاتساق بأن تتناسب المعانى كقول المتنبى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ :

وما زلت حتى قادنى الشوقُ نحوه يُسايرنى فى كلِّ ركب له ذكْر(١)
وأستكبرُ الأخبار قبل لِقَائِهِ فلما التقيْنا صغّرَ الخبر الْخُبْر

وسابعاً : الجزالة وهى إبرازُ المعانى الشريفة فى معارض من الألفاظ الأنيقة(٢) اللطيفة كقول الصّابئ المتوفى سنة ٣٨٤ هـ :

لك فى المحافل منطقٌ يشْفى الْجَوَى(٣) ويسوغُ فى أُذُن الأديب سُلَافُهُ(٤)
فكأنَّ لفظكَ لُؤلُؤ متنَخّلٌ(٥) وكأنّمَا آذننا أصدافه

وأما عُيوبه فسبعة : الهُجنة بأن يكون اللفظ سخيفاً والمعنى مُسْتَقْبحًا كقوله :

وإذا أدنيتَ منه بَصلاً غَلَبَ المسكُ على ريح البَصل

والوحشية : كون الكلام غليظًا تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع كقوله :

وما أرْضى لِمقْلته بحُلم إذَا انْتبهتْ تَوَهَّمَه ابتشاكا(٦)

والركاكة أى ضعف التأليف وسخافة العبارة كقول المتنبى المتوفى سنة ٣٤٥ هـ :

إن كان مِثلك كان أو هُو كائنٌ فبرئتُ حينئذ من الإسلام

والسّهوُ عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتَنَبِّى يُشبِّه ممدوحه بالله تعالى (وهو كفر) :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مِثلُ الّذى الأفلاكُ مِنه والدنى(٧)

والإسهاب أى الإطالة الزائدة المُمِلَّة فى شرح المادة والعدول إلى الحشو كقوله :

وأعنى فتى لم تذر الشمس طالعةً يوماً من الدهر إلا ضَرَّ أو نفعا

---

(١) خبر زلت يسايرنى ، والركب : جماعة الراكبين ، أى مازلت أسمع ذكره فى كل ركب صحبته حتى قادنى الشوق الى زيارته ، والمتنبى يمدح عليا الأنطاكى ، ومعنى البيت الثانى : انى مازلت أستعظم ما يذكر لى من أخباره حتى لقيته فصغرت عندى تلك الاخبار بالنسبة اليه لأنى وجدته أعظم مما وصفوا (٢) المعجبة .
(٣) الحرقة . (٤) الخمرة (٥) مصطفى ومختار
(٦) يقول : وان حدثه حلم فى نومه عن شكرى له فلا أرضى به لعله يتوهمه كذبا (٧) الدنيا .